جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا
المجلة العلمية

أدبيات الخطاب الشعري في المناجاة الصوفيَّة
" شعر أبي مدين التلمساني أنموذجاً "

إعداد

د/ زعبوط جهلان مصطفى صابر

مدرس الأدب والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين في قنا

(العدد التاسع عشر ٢٠٢٢م)

أدبيات الخطاب الشعري في المناجاة الصوفيَّة
" شعر أبي مدين التلمساني أنموذجاً "

زعبوط جهلان مصطفى صابر
قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر، قنا، مصر.
البريد الإلكتروني: ZabootSaber.4119@azhar.edu.eg

ملخص البحث:
من المعروف أنَّ فن المناجاة غالبًا يكون نثرًا، ويكون شعرًا؛ لكنَّه تحول على أيدي الشعراء الصوفيين المبدعين إلى فنٍّ شعريٍّ ظاهر يُعبِّر عن الحب الإلهي؛ لمّا لاحظوا غلبة الشعر في الجذب والاستحواذ على الوجدان؛ نتيجة التأثر بمحادثة المُحِب مع حبيبه؛ وعليه كان هذا البحث تحت عنوان: "أدبيات الخطاب الشعري في المناجاة الصوفيَّة "شعر أبي مدين التلمساني أنموذجًا"، بهدف التعرُّف على فنٍّ المناجاة الشعريّة وبواعثه من خلال شعر الشيخ الصوفي أبي مدين التلمساني، وجاء هذا البحث في تمهيد وثلاثة فصول على النحو التالي: التمهيد: وفيه عرض موجز لفن المناجاة في اللغة والاصطلاح، والتعريف بالشاعر وصوفيته، وكراماته، ووفاته، الفصل الأول بعنوان: فن المناجاة في الأدب العربي، الفصل الثاني بعنوان: شعريَّة خطاب المناجاة وبواعثه عند الصوفيَّة، الفصل الثالث بعنوان: الجماليَّات الفنيَّة لخطاب المناجاة الصوفيَّة عند أبي مدين.
وترجع أسباب الاختيار لهذا الموضوع إلى أنَّ المناجاة الصوفيَّة منزع رُوحِيٌّ ووجدانيٌّ ترتاح له النفس وتتماهى فيه وتعشق الحوار الروحي من خلاله، فالشعر الصوفيَّ شعر فلسفيٌّ يُمْتِع العقل والوجدان من خلال التفكير فيما وراءه، والتلذُّذ بحقائقه وأسراره، والتجربة الصوفيَّة تجربةٌ عميقةٌ تؤسر الانتباه وتجذب الوجدان وبخاصة إذا كانت تمثل

دعاء أو مناجاة، ومن خلال قراءتي لشعر الشيخ أبي مدين التلمساني وإعجابي الشديد بإبداعه وما يحتويه من فنيَّات وإبداعات تدلل على أنَّه شاعرٌ صوفيٌّ بارعٌ يحتاج للاهتمام، فالخطاب الصوفي في المناجاة الشعريَّة عند أبي مدين كان يمثل تجربة إبداعيّة جماليّة بثَّ من خلالها عواطفه العقدية، وحبّه للذات الإلهيَّة، أمَّا عن منهج البحث فهو المنهج التحليلي الفنِّي حيث إنَّه يقوم على دراسة الظواهر الشعريَّة المختلفة، ويحللها تحليلًا أدبيًّا وفنيًّا يوضِّح مُراد الشاعر، ويقف على المآثر الإبداعيَّة سواء الواقعيَّة أو الخياليّة التي ينتجها الشاعر، ومدى تفاعلها مع فكر المتلقِّي وقبوله.

الكلمات المفتاحية: أدبيات، الخطاب الشعري، المناجاة الصوفيَّة، العواطف العقدية، الخطاب الصوفي.

The literature of poetic discourse in the Sufi monologue

"The Poetry of Abu Madyan Al-Tilmisani as a Model"

Zaaboot Jahlan Mustafa Saber

Department of Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena, Al-Azhar University, Qena, Egypt.

E-mail: ZabootSaber.4119@azhar.edu.eg

Research Summary:

It is well known that the art of soliloquy is often prose, and it is secret; But it was transformed by the creative Sufi poets into an apparent poetic art that expresses divine love. When they noticed the predominance of poetry in attracting and capturing the conscience; As a result of being affected by the lover's conversation with his beloved; Accordingly, this research was under the title: (Literature of Poetic Discourse in Sufi Munajat "Abu Madyan's Poetry at Al-Tilmisani as a Model"), with the aim of identifying the art of poetic monologue and its motives through the poetry of the Sufi Sheikh Abu Madyan al-Tilmisani, and this research came in an introduction and three chapters as follows: Preface: In it is a brief presentation of the art of invocation in language and terminology, and the definition of the poet, his mysticism, his dignity, and his death, the first chapter entitled: The Art of Invocations in Arabic Literature, the second

chapter entitled: The Poetics of the Invocations Discourse and Its Motives for Sufism, the third chapter entitled: The Artistic Aesthetics of the Sufi Invocations Discourse at My father owes.

The reasons for choosing this topic are due to the fact that the Sufi monologue is a spiritual and emotional emotion in which the soul relaxes and identifies with it and loves the spiritual dialogue through it, It was a prayer or a soliloquy, Through my reading of the poetry of Sheikh Abu Madyan al-Tilmisani and my great admiration for his creativity and the techniques and creations it contains, indicating that he is a brilliant Sufi poet who needs attention, The research method is the technical analytical method as it is based on the study of various poetic phenomena, and analyzes them in a literary and artistic analysis that clarifies the poet's intent, and stands on the creative exploits, whether real or imaginary, produced by the poet, and the extent of their interaction with the recipient's thought and acceptance.

Keywords: Literature, Poetic discourse, Mystical monologue, Nodal emotions, Sufi discourse.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله حمدَ الشاكرين على عطائه الذي لا ينفد، وفضله الدائم الذي لا ينقطع، سبحانه أذاق الطائعين حلاوة الإيمان، ووفَّقَ الصالحين إلى أفضل الأعمال، والصَّلاة والسَّلام على النبي الأعظم، والرسول الأكرم سيد العرب والعجم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أمَّا بعد،، فإنَّ المناجاة من الفنون الأدبية المتميزة لدى القراء والسامعين؛ لأنها تلمس شغاف الوجدان، وتُحرِّك المشاعر وتؤسر الانتباه، وقد تميَّزَ الصوفيَّة عامة، و(أبو مدين التلمساني)خاصَّة بصدق الموالاة والحِسِّ الوجداني، والتماهي في عشق الذات الإلهيَّة ومناجاتها، وحبِّ الخضوع والتذلل لها؛ وعليه جاء هذا البحث تحت عنوان(أدبيات الخطاب الشعري في المناجاة الصوفيَّة " شعر أبي مدين التلمساني نموذجًا")، وترجع أسباب الاختيار لهذا الموضوع إلى الآتي:

١ أنَّ المناجاة الصوفيَّة منزع رُوحِيٌّ ووجدانيٌّ ترتاح له النفس وتتماهى فيه وتعشق الحوار الروحي من خلاله .

٢ أنَّ الشعر الصوفيَّ شعر فلسفيٌّ يُمْتِع العقل والوجدان من خلال التفكير فيما وراءه، والتلذُّذ بحقائقه وأسراره .

٣ أنَّ التجربة الصوفيَّة تجربةٌ عميقةٌ تؤسر الانتباه وتجذب الوجدان وبخاصة إذا كانت تمثل دعاء أو مناجاة .

٤ قراءتي لشعر الشيخ أبي مدين التلمساني وإعجابي الشديد بإبداعه وما يحتويه من فنيَّات وإبداعات تدلل على أنَّه شاعرٌ صوفيٌّ بارعٌ يحتاج للاهتمام .

أمَّا عن منهج البحث فهو المنهج التحليلي الفنِّي حيث إنَّه يقوم على دراسة الظواهر الشعريَّة المختلفة، ويحللها تحليلًا أدبيًّا وفنيًّا يوضِّح مُراد الشاعر، ويقف على المآثر الإبداعيَّة سواء الواقعيَّة أو الخياليّة التي ينتجها الشاعر، ومدى تفاعلها مع فكر المتلقِّي وقبوله .

أمَّا عن خطة البحث فقد انتظمت في مقدِّمةٍ وتمهيدٍ، وثلاثةِ فصول:

المقدِّمة: وفيها الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب الاختيار،ومنهج البحث وخطته .

التمهيد: وفيه عرض موجز لفن المناجاة في اللغة والاصطلاح، والتعريف بالشاعر وصوفيته، وكراماته، ووفاته .

الفصل الأول بعنوان: فن المناجاة في الأدب العربي.

الفصل الثاني بعنوان: شعريَّة خطاب المناجاة وبواعثه عند الصوفيَّة.

الفصل الثالث بعنوان: الجماليَّات الفنيَّة لخطاب المناجاة الصوفيَّة عند أبي مدين التلمساني.

ويعد،،،،

فالله أسأل أنْ ينالَ هذا العملَ القبولَ والاعجابَ، ويُثمِر الثمرة المرجُوَّة من ورائه، وهي الإسهام في إثراء أدبنا العربي، وإمتاع القُرَّاءِ وبثِّ تعلقهم بالخالق ومناجاته في الشدائد والمسرَّات، ومعايشتهم في تجربة الصوفيَّة التي تزخر بالأشعار التي يهتز لها الوجدان، ويَحِنُّ لها الجنان.

التمهيد

١ إطلالة معرفيّة على فنِّ المناجاة:

إذا كان الصوفيَّونَ في اشعارهم، أو حتى في كتاباتهم النثريّة وخطبهم وإرشاداتهم الوعظيّة ينتهجون نهجًا فلسفيًّا عميقًا يستدعي التفكير والتَّأمُّل، فإنَّ لكلامهم قبولًا وراحةً وجدانية؛ لأنَّه يتعلَّق بالحبِّ الإلهيّ، أو المُحمَّديّ ومناجاة رَبِّ البريّة؛ لذا كان لأدبهم رواجٌ سريعٌ في كثيرٍ من الأمصار والأقطار.

فللصوفية في أحوالهم وأفعالهم لطائف وكرامات تؤسر الوجدان وتثير الانتباه، فقد" تولاهم الله برعايته فأدّبهم وهذّب ظاهرهم وأصلح باطنهم، حتى ظهر كل واحد منهم صوفيًّا أديبًا، تكاملت أخلاقه بتكامل أدبه لأنَّ الآداب منبهة للسجايا الصالحة والمنح الإلهيَّة، ولمَّا هيَّأ الله تعالى بواطن الصوفيَّة لمناجاته وكمَّلها بالسجايا الطاهرة توصلوا بحسن الممارسة والرياضة إلى استخراج ما في النفوس من الشوائب وتهيئتها إلى معرفة الحضرة القدسية فصاروا مؤدَّبين مهذَّبين كاملين لله وبالله وفي الله" (١)

وعليه فلا غرابة في اعتماد الخطاب الصوفي على بدائلَ معرفيَّة وإبداعات جديدة تُوظّف طاقة التحول من محدودية العقل إلى سعة وتأثير الذوق، ومن سطحيّة الوصف إلى عمق الكشف، فالمنهجيّة الصوفيَّة تقوم على التأمُّل في الأسرار الكونية وحقيقة الوجود، والتماهي في الحبِّ الإلهيّ ومناجاة الذات العليَّة أملًا في القرب والوصال.

والمناجاة في مجملها خطابٌ صوفيٌّ استغراقيٌّ يعتمد على الحوار القائم على مبدأ التَّخلِّي والخضوع من المناجي ليتمَّ التَّجلِّي والرِّضا من الذات الإلهيَّة.

---

(١) أ.د/ محمد عبدالمنعم خفاجي: (الأدب في التراث الصوفي)، مكتبة غريب، القاهرة،(بدون)، ص١٧.

وعلى ذلك كان من الضروري الوقوف على المعنى اللغوي للمناجاة، وكذلك في اصطلاح العلماء، والأدباء للإسهام في إيضاح وإضاءة جوانب هذا العمل .

أ المعنى اللغوي للمناجاة :

ورد في لسان العرب لابن منظور:" أن المناجاة بمعني التسارر، فيقال: ناجى الرجل مناجاة ونجاء أي ساررره، وانتجى القوم انتجاءً، وتناجوا مناجاة بمعنى تساروا، وفلان ناجى فلان أي يناجيه دون من سواه، والمناجي هو المخاطب للإنسان والمحدث له دون غيره" (١)

ولفظ المناجاة بمشتقاته ورد كثيرًا في القرآن الكريم، والسُّنَّة المطهَّرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:" ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"(٢)، وقولة تعالى:" وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾(٣)

ومن السُّنَّة المطهَّرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" إنَّ أحدكم إذا قام يصلي فإنَّما يناجي ربه، فلينظر كيف يناجه"؟(٤)، وقوله عليه الصلاة والسلام:" إذا كانوا ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث"(٥)

وممَّا سبق يستنتج من المعاني اللغوية للمناجاة أنَّها تدور حول التسارر والانعزال والخَلْوَة لإقامة الحوار الهامس بين المناجي والذات الإلهيَّة، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذه

(١) جمال الدين بن منظور: (لسان العرب)، مراجعة وتصحيح مجموعة من الأساتذة، المجلد الثامن، دار الحديث، القاهرة٢٠٠٣م، ص٤٧٦، ٤٧٧، باب النون مادة نجا .
(٢) سورة المجادلة الآية رقم ٩ .
(٣) سورة يوسف الآية رقم ٥٢ .
(٤) أبو عبدالله الحاكم: (المستدرك على الصحيح)،دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلَّمية، ج١، ط١، بيروت١٤١١ه، ص٢٣٦ .
(٥) يحي بن شرف النووي: (رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين)، تصحيح وتعليق: أنور الباز، ط٧، القاهرة٢٠٠٧م، ص٣٨٦.

المعاني اللغوية تُسهم بقدرٍ كبير في تجليّة المعنى الاصطلاحي لهذه الفن الأدبي الصوفي .

ب المعنى الاصطلاحي لفن المناجاة:

المناجاة كلونٍ أدبيٍّ شائع لم يرد مفهومها في كتب الصوفيَّة إلَّا مرتبطًا بالمعنى اللغوي الذي غالبًا كان يرتبط بالأمور التعبُّديَّة كالصلاة والأذكار والشكوى والجوى والوصال وغيرها من الأحوال الصوفيَّة.

وقد عرَّفها القشيري بأنَّها:" مسامرة بين الحبيبين لا يسمعهما ثالث"[(١)]، فهو يجعلها ضربًا من الحوار المستطاب الممتع بين الحبيب ومحبوبه.

وعرَّفها الطوسي(ت٣٧٨هـ):" مخاطبة الأسرار عند صفاء الأذكار للملك الجبَّار"[(٢)] وهو الآخر يجعلها نوعًا من الحديث الصوفي الروحاني الذي يطيب فيه التَّجلِّي من الذات الإلهيَّة، فكلاهما اعتبر المناجاة لونًا من المحادثة التي يفضي ويخلص فيها المناجي فيبوح بسرِّه إلى حبيبه، ويستحضر عظمته وجلاله وكبرياءه، ملتمسًا تجلِّيه ورضاه .

ومن العلَّماء من لمَّحَ بأنَّ المناجاة وسيلة عظيمة يفوز المحبُّونَ من خلالها بالوصال والقُرْب من المحبوب الأعظم، فممّا يُؤثر عن الجُنَيْد (ت٢٩٨ه) أنَّه قال:" لقد فاز قوم دلَّهم وليَّهم على مختصر الطريق فأوقفهم على محجة المناجاة، ولوّح لهم على فهم

(١) عبدالكريم القشيري: (أربع رسائل في التصوف)، تقديم: قاسم السمرائي، مطبعة المجمع العلَّمي العراقي، بغداد١٩٦٩م، ص ٤٩ .

(٢) أبو نصر السراج الطوسي: (اللمع)، دار الكتب الحديثة بمصر، القاهرة١٩٦٠م، ص٤٢٦.

الدعوة إلى المسارعة بالمناسبة إلى فهم الخطاب"[١]، فهو يجعل المناجاة محجة تؤدي إلى الوصال بالمحبوب الأعظم حبًا فيه، وشوقًا للقائه، ورجاءً لعطفه ووصاله .

ومنهم من جعل المناجاة لونًا أدبيًّا يحمل سمات خاصة انفرد به الصوفيَّة وامتازوا به فقال عنها إنَّها من:" ألوان آداب الصوفيَّة، أنشؤوه في مناجاة الله عزوجل، والحديث إليه، والاستغراق في خطابه، وهو أدب بليغ ولون من ألوان النثر جدٌّ طريف، وقد أتى الصوفيَّة فيه بكل معنى جديد بليغ"[٢]

كذلك من الباحثين من اعتبر المناجاة عبارة عن حالة دعائية يلجأ إليها الصوفيَّة عند بلوغ الحاجة مداها؛ بغية الوصال والقرب والرضا، فوصفها بأنَّها شكلًا من:"أشكال الخطاب الدعائي ذات الاتجاه الواحد من أنا إلى أنت(الله)، لذلك اعتبرها القدامى حديثًا شخصيًّا سُميّ" حديث النفس" فكانت مجرد متتاليات دعائية تعبر عن معان دينية وأخلاقية، اعتمدها المتصوفه كلك للتعبير عن حالة تبلغ فيها الحاجة إلى الله مداها" [٣]

وعلى ذلك يتبيَّن من خلال التعريفات السابقة لفن المناجاة أنَّها لون من الألوان الأدبية الصوفيَّة يتميز بطابع خاص، وهو أنَّه يدور في فلك الحبِّ الإلهيّ، والحوار الروحانيّ بين المناجي والذات الإلهيَّة؛ لينالَ الوصال والقرب ويبلغ حاجته.

ولقد برع الصوفيَّة عامة في هذا الفن نظرًا كما سبق القول لانبثاقه من الحبِّ الإلهيّ والتماهي في الذات العليَّة والانشغال بالأسرار الإلهيَّة، وإذا كان المشهور عن هذا اللون أنَّه لون أدبيٌّ نثريٌّ، فإنَّه عندما يتحوَّل إلى لونٍ شعريٍّ، يصبح أيسر في

(١) أبو نصر السراج الطوسي: (اللمع)، مرجع سابق، ص٤١٢.
(٢) محمد عبدالمنعم خفاجي: (الأدب في التراث الصوفي)، مرجع سابق، ص١١٣.
(٣) آمنة بلعلَّى: (تحليل الخطاب الصوفي: في ضوء المناهج النقدية المعاصرة)، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر٢٠٠٢م، ٩٤.

الفهم أقرب إلى الوجدان، أعلق بالأذهان؛ سيَّما وأنَّ كلام الصوفيَّة في أغلب الأحيان فلسفي المنزع، ومن الصوفيَّة الذين صبوا نتاجهم الشعري على هذا الفن أبو مدين التلمساني .

٢ ـ التعريف بأبي مدين التلمساني:

هو شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، أبو مدين، من مشاهير الصوفيَّة وعَلَمْ من أبرز أعلامها .

ولد في بلاد الأندلس عام ٥١٤ه، وأقام بفاس وسكن(بجاية) [١] وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور، وتوفَّى عام ٥٩٣ه في تلمسان[٢].

ومن صفات الشيخ أبي مدين أن" كان زاهدًا فاضلًا عارفًا بالله تعالى خاض بحار الأحوال، ونال أسرار المعارف خصوصًا مقام التوكُّل، لا يشق غباره، ولا تجهل آثاره، وكان مبسوطًا بالعلَّم، مقبوضًا بالمراقبة كثير الالتفات بقلبه إلى الله تعالى"[٣]

ومن مؤلفاته:(مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب) ويقع في اثنين وتسعين صفحة، و(ديوان شعر) أغلبه في المناجاة والحبِّ الإلهيّ والمحمديّ [٤]

---

(١) (بجاية) بالكسر وتخفيف الجيم: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب. ينظر: ياقوت الحموي: (معجم البلدان)، دار صادر،ج١، بيروت ١٩٩٥م، ص٣٣٩.

(٢) ينظر ترجمته في: خير الدين الزركلي:(الأعلام)، دار العلَّم للملايين، ط١٥، آيار٢٠٠٢م، ص١٦٦ .

(٣) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني: (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر،ج٧، ط١، بيروت لبنان١٩٩٧م، ص ١٣٦ .

(٤) ينظر: ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص أحمد الشافعي:(طبقة الأولياء)، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي،ط٢، ج١ القاهرة١٩٩٤م ، ص٤٣٧.

ولقد ظهرت على يديه الكثير من الكرامات نذكر منها ما ورد في كتاب (نفح الطيب) "أنَّ رجلًا جاءه ليعرض عليه فجلس في الحلقة فأخذ صاحب الدولة في القراءة، فقال له(أبو مدين) أمهل قليلًا، ثم التفت للرجل وقال له: لم جئت، فقال: لأقتبس من نورك، فقال له: ما الذي في كمك، قال له: مصحف فقال له: افتح واقرأ في أول سطر يخرج لك ففتحه وقرأ أول سطر فإذا فيه﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ [١] فقال له (أبو مدين): أما يكفيك هذا؟ فاعترف الرجل وتاب وصلح حاله [٢]

فالكشف والحديث عن السرائر سمة بارزة ومميزة للصوفيّة، وقد" سُئل الجُنَيْد عن العارف فقال: من نطق عن سِرّك وأنت ساكت" [٣]

فاتصال الشيخ (أبي مدين) بالله عزوجل وتعلق قلبه به وانشغاله الدائم بكلامه أفاض عليه من تجليَّاته وكشفيّاته، أليس هو القائل؟:" لا يكون المريد مريدًا حتى يرى في القرآن ما يريد" [٤]

كذلك من كرامات الشيخ(أبي مدين) أنَّه كان ماشيًّا على ساحل فآسره العدوُّ، وجعلوه في سفينة فيها جماعة من أسرى المسلمين، فلما استقر في السفينة توقفت عن

(١) سورة الأعراف آية ٩٢.

(٢) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني: (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)، مرجع سابق، ص١٤٠ .

(٣) د. محمد أبو الفضل بدران: (أدبيات الكرامة الصوفيَّة) الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٨١ .

(٤) نور الدين اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد بن علي:(المحاضرات في اللغة والأدب)، ج١، ص ٢٠.

السير، ولم تتحرك من مكانها، مع قوة الريح ومساعدتها، وأيقن الروم أنهم لا يقدرون على السير، فقال بعضهم أنزلوا هذا المسلم فإنَّه قسيس، ولعلَّه من أصحاب السرائر عند الله تعالى، وأشاروا له بالنزول، فقال لا أفعل إلّا إن أطلقتم جميع من في السفينة من الأسارى، فعلموا أن لا بد لهم من ذلك" (١)

ومن خلال ما سبق من سيرة الشيخ(أبي مدين التلمساني) يتبين أن المناجاة عنده تمثِّلُ مواجيد وأحوال ومقامات صوفية ناتجة عن إخلاص السريرة، وصفاء البصيرة، وصدق الاتصال بمُبدِعِ المقامات والأحوال .

أيضًا فن المناجاة، وهندسة البناء الشعري عند الشيخ(أبي مدين) يَنَمُّ عن الأدب الراقي والمُمَيّز للصوفيّة عبر العصور الأدبيّة .

(١) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني: (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)، مرجع سابق، ص١٤٠ .

الفصل الأول
فن المناجاة في الأدب العربي

مدخل:

لا شكَّ أنَّ الأدبَ الصوفيَّ من أروع وأعمق أنواع الأدب التي زخر بها التراث العربي، فهو أدبٌ متجدِّدٌ متَّقدُ العاطفة، يحرِّك المشاعر ويجذب الأحاسيس، يتميز بالصدق الوجداني، والفيض الروحاني، ويحمل كل سمات العمل الفني المتميز الخالص.

ولقد عبَّر الأدب الصوفي على مَرِّ العصور الأدبية عن أعمق مشاعر الإنسانيّة في مناجاتها للذات الإلهيَّة، فأطال فيها طولًا لا يُكَلُّ ولا يُمَلُّ؛ وذلك لانبثاقه من الفيض الرباني الذي تأنس به الذات الشاعرة التي تتوق إلى محبة الله ونوال رضاه .

فالحبَّ الإلهيَّ يمثل الغذاء الروحي واللذة الوجدانية في الأنس والاتصال بالذات الإلهيَّة عند جميع المتصوفة، مما يجعل أكثرهم يميل لمناجاة الذات العليَّة للاستشعار بلذة القرب والوصال.

وهذا الحب الإلهيّ أكثر ما يتميّز به الشعراء الصوفيون، ويجعل من أشعارهم قصائد نورانيّة، تجذب اللُب وتستحوذ على الفؤاد، فالصوفي يتخذ من حبِّه للذات الإلهيَّة موضوعًا يدور حوله، ويناجي من خلاله، وفيه يصف لذته، وما يجده من لوعة وأسى، أو قرب ووصال، وكذلك ما يمرُّ به في تصوفه من مقامات وأحوال، ومجاهدة مستمرة للنفس، وما يتعرض له من فيض ربَّاني وإلهام روحاني.

المبحث الأول

المناجاة الصوفيَّة عبر العصور الأدبيّة

لا شك أنَّ ما يبدعه الصوفيَّة من أعمال أدبيّة وخاصة الشعريَّة منها ينتج من انبعاث نفسي يتميز دائمًا بأنَّه يحلق في عالم الروح في السماء ليندمج بنور جلال الله عزَّ وجل ويعبر عن وجدان الشاعر وأعماق نفسه، مما يجعله يفيض بالكثير من المعاني ويأنس في مناجاته بالقرب والوصال، ف" للشعر مكانة كبيرة عند الصوفيَّة فهو لسان حالهم، والمعبر عنهم دوامًا"(١) .

وهذا الإنتاج الأدبي الرائع للصوفيّة في مختلف العصور الأدبيّة ربما لا يكون وليد رغبة في نَظْم الشعر والنثر بقدر ما هو تعبير عن أحوالهم ومواجيدهم بأسلوب أدبي راقٍ ومؤثر" والحق أنه ما من مذهب صوفي إلَّا ويمكن أن يُعد على وجه من الوجوه وليدًا لما خضع له صاحبه من رياضات ومجاهدات، ولما تعاقب على نفسه من مواجيد وأذواق، ولما فتح به عليه بعد هذا كله من مكاشفات ومشاهدات، يعبر عنها الواصل إليها تعبيرًا يصور مبلغ العناء الذي احتمل، ومقدار الصفاء الذي حصل، وقد يكون هذا التعبير شعرًا تارة ونثرًا تارة أخرى"(٢)

ولا يخفى أنَّ فن المناجاة من الفنون الأدبية الزائعة والمنتشرة في كل العصور الأدبيَّة سواءً في الشعر أو في النثر؛ لتعلقه بالذات الإلهيَّة واللجوء إليها ومحادثتها عمَّا يدور في الفكر والوجدان، والشعر، أو النثر من الفنون التي تمتلك قوة عجيبة على اختراق الوجدان واستخراج ما فيه من أسرار،ووصولها إلى أعماق وجدان المُتلقِّي خاصة في المناجاة الإلهيَّة والاستغراق في خطابها والحديث إليها والذوبان والتماهي فيها .

---

(١) د . محمد أبو الفضل بدران: (أدبيات الكرامة الصوفيَّة)، مرجع سابق، ص٢٢٠ .
(٢) د . محمد مصطفى حلمي: (ابن الفارض والحب الإلهي)،دار المعارف، ط٢، القاهرة، ١٩٨٥م ، ص٥٧ .

ولقد وجد فن المناجاة في العصر الجاهلي، ولكن بقلَّة في شعر الشعراء الذين سلمت فطرتهم، وزكت نفوسهم من رجس الوثنية، وعقائد الجاهلية وفسادها كزهير بن أبي سلمى، وعدي بن زيد العبادي، وأُمية بن الصلت، وغيرهم.

ومن النماذج على فن المناجاة في ذلك العصر قول عدي بن زيد العبادي: (١)

ولنا مجدٌ وربٌّ مفضلٌ ∴ بيديه الخير ما شاء أمر
منه فضلٌ ولديه سعة ∴ إنَّما يرجى لما فات الغِيَرْ
وشفيع منجح ينظرنا ∴ بيديه اليوم تيسير العسر

كذلك من النماذج قول أُمية بن الصلت(٢) :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا ∴ فلا شيء أعلى منك جدًّا ولا مجدُ
مليكٌ على عرشِ السماءِ مهيمنٌ ∴ لعزته تعنو الوجوه وتسجدُ
عليه حجاب النور والنور حوله ∴ وأنهار نورٍ حوله تتوقد
ولا بشرٌ يسمو إليه بطرفه ∴ ودون حجاب النور خلق مؤيد
ملائكة أقدامهم تحت أرضه ∴ وأعناقهم فوق السماء صعد
فسبحان من لا يعرف الخلق قدره ∴ ومن هو فوق العرش فرد موحد

فالمناجاة في العصر الجاهلي عند صحيح المعتقد وسليم الفطرة كانت تدور في فلك الاعتراف بفضل الله وكثير نعمه وآلائه، ورجاء عفوه ومغفرته في الدنيا والآخرة.

---

(١) (ديوان: عدي بن زيد)، تحيق: محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد ١٩٦٥م، ص٦٢ .

(٢) (ديوان: أمية بن الصلت)، تحقيق:د. سجيع جميل الجبيلي، دار صادر،ط١، بيروت ١٩٨٩م، ص٣٨، ٣٩ .

أمَّا في العصور الأدبية الأخرى صدر الإسلام والأموي والعباسي والحديث فقد طُبعت المناجاة بالطابع الإسلامي المُستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ مما أتاح لها مجال أوسع، وإبداع أكثر، فقد تناول الشعراء الصوفيَّة في مناجاتهم رقائق الحكمة، ومبتكر الأفكار والمعاني والأساليب، والأخيلة البديعة .

ومن أدب الخطاب الشعري عند الصوفيَّة قول القائل: (١)

يا قبلتي في صلاتي ∴ إذا وقفت أصلي
جمالكم نصب عيني ∴ إليه وجهت كلي

ومنه أيضًا قول البرعي : (٢)

سيدي: أنت مقصدي ومرادي ∴ أنت حسبي وأنت نعم الوكيل

وقول سيدي أحمد البدوي(٦٧٥هـ): (٣)

إلهي: خانني جلدي وصبري ∴ وجاء الشيب واقترب الرحيل
إلهي: ذاب قلبي من ذنوبي ∴ ومن فعل القبيح أنا القتيل
إلهي: جد بعفوك لي فإني ∴ على الأبواب منكسر ذليل
إلهي: حفني باللطف يا من ∴ له الغفران والفيض الجزيل

ومن روائع خطاب المناجاة الشعريَّة عند شاعرنا الصوفي الشيخ أبي مدين قوله: (٤)

إليك مددت الكف في كل شدةٍ ∴ ومنك وجدت اللطف في كل نائب

(١) محمد عبدالمنعم خفاجي: (الأدب في التراث الصوفي)، مرجع سابق، ص١١٦.
(٢) المرجع سابق، ص١١٦.
(٣) المرجع سابق، ص١١٦.
(٤)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، تحقيق:د. عبالقادر سمود، د. سليمان القرشي، دار كتاب ناشرون، ط١، بيروت، لبنان٢٠١١م، ص٦٧.

وأنـــت مـــلازي والأنـــام بمعـــزل ∴ وهل مستحيلٌ في الرجـــاء كواجـــب
فحقق رجائي فيك يا رب واكفنـــي ∴ شـــمات عـــدو أو إســـاءة صـــاحب
فكم كربة نجيتني مـــن غمارهـــا ∴ وكانت شجي بين الحشا والترائـــب
فلا قـــوة عنـــدي ولا لـــي حيلـــة ∴ سوى أنَّ فقري للجميـــل المواهـــب
فيا ملجأ المضـــطر عنـــد دعائـــه ∴ أغثني فقد ســـدت علـــى مـــذاهبي
رجاؤك رأس المال عندي وربحه ∴ وزهدي في المخلوق أزكى مكاسبي

هكذا كان خطاب المناجاة في العصور المتقدمة محصورًا في الإنابة إلى الله تعالى وطلب العون منه وحمده، وشكره على ما أنعم به على الإنسان وهذا منبثق دائمًا من الخوف والرجاء، الخوف من عذاب الله، والطمع في مغفرته وجنته، وبهذا ربما تكون المناجاة أقرب إلى الدعاء بمعناه العام .

أمَّا في العصور الإسلامية إلى العصر الحديث فخطاب المناجـــاة نـــابع مـــن الحـــبِّ الروحي، والتماهي في المحبوب الأعلى وبذلك تكون أكثر عمقًا واستغراقًا فـــي القـــرب والاتصال بالمحبوب الأعلى؛ لأنَّ المحبين" تغلب الرياضة الروحية فـــي خلـــواتهم علـــى العبادة، فيتخذون من الخلوة وسيلة للفناء في المحبوب، أو مشاهدته، ومن هنا كانـــت الخلوة التي يسبح فيها الصوفيَّة على أجنحة من الرياضة إلى عـــوالم الغيـــب التـــي لا يشهدها غيرهم من الناس وهم يتخذون من الذكر وسيلة هامة يســـعون بهـــا نحـــو هدفهم البعيد"[١]

(١) عبد الحكيم حسان: (التصوف في الشعر العربي: نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثالث الهجري) ، مكتبة الأنجلو، القاهرة، (د ـــ ت)، ص٢٨٠.

المبحث الثاني

الحب وعلاقته بخطاب المناجاة الصوفيةّ

الحبُّ منزعٌ روحيٌّ ووجدانيٌّ يفيض بالأنوار والتجليات، وهو قطب الرَّحَى عند المتصوفة في كل أعمالهم ومجاهداتهم، هذا الحب الذي عبَّرَ عنه تُرْجُمان الأشواق ابن عربي بقوله: "إنَّي رأيت في نفسي من العجائب ما لا يبلغه وصف واصف، والحب على قدر التجلي، والتجلي على قدر المعرفة، ومحبة العارفين ليس لها أثر في الشاهد، فإنَّ المعرفة تمحو آثارها لسر تعطيه لا يعرفه إلَّا العارفون"(١)، وعبرت عنه شهيدة العشق الإلهيّ رابعة العدوية(ت١٨٥ه) بقولها: (٢)

أنت أُنسِـي ومنيتـي وسـروري ∴ قد أبـى القلـبُ أن يحـب سِـواك
يـا حبيبـي ومنيتـي واشـتياقي ∴ طال شـوقي متـى يكـون لقـاك
ليس سؤالي عن الجنـان نعيمًـا ∴ غيـر أنَّـي أريـدها لأراك

فرابعة العدوية تُعدُّ المؤصِّلة لمعنى العشق والحب الإلهيّ الحقيقي، وهي التي بررت حبَّها وعشقها لمولاها عندما سألها سفيان الثوري عن حقيقة إيمانها فقالت: " ما عبدت الله خوفًا من النار، فأكون كأمة السوء، ولا حبًا للجنة، فأكون كأمة السوء إن أعطيت عملت، ولكني عبدته حبًا له وشوقًا إليه" (٣)، وهي بذلك تنشد أعلى مراتب الحب، ذلك

(١) محمود محمود الغراب: (الحب والمحبة الإلهيَّة: من كلام الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي)، مطبعة الكاتب العربي،ط٢، دمشق١٩٩٢م، ص١٧١.
(٢) يحي بن معاذ الرازي: (جواهر التصوف)، شرح وتعليق سعيد هارون عاشور، مكتبة الآدب، ط١ القاهرة٢٠٠٢م، ص ٤٠ .
(٣) المرجع السابق، ص٣١.

الحب الذي تطالع فيه جمال الربوبية هذا الحب المُنزَّه عن الغرض المجرد عن الهوى الذى تبتغي فيه القرب والوصال مع الذات الإلهيَّة لذاتها والتماهي فيها.

وقد نَظَمَتْ صدق هذا الحب في أبياتها المشهورة التي تناجي فيها محبوبها الأعظم بقولها: (١)

أحبك حبَّين حب الهوى ∴ وحبًا لأنك أهل لذاكا
فأمَّا الذي هو حب الهوى ∴ فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأمَّا الذي أنت أهل له ∴ فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمدُ في ذا ولا ذاك لي ∴ ولكن لك الحمدُ في ذا وذاكا

فالحب والفناء في المحبوب جعلها لا ترغب به في النعيم، ولاتحذر من العذاب، وإنَّما تتماهى في ذات المحبوب تناجيه، وتذوب جوى في عشقه لذاته ورغبةً فيه؛ لذا فهي أول من توجَّه بالأدب الصوفي" هذه الوجهة الوجدانية الروحية، وجعل للحب غايةً مثاليةً، فلا ينشد لرغبة أو لرهبة، بل للحب ذاته"(٢).

ولا يخفى أنَّ علاقة الحب بالمناجاة علاقة كلية تلازمية؛ لأنَّ المحب يؤنس بمحبوبه ويتماهى فيه، وينشغل به، ملتمسًا عطفه ورضاه، وقربه ووصاله.

هذا الحب الذي جعل سلطان العاشقين ابن الفارض يناجي محبوبه ويرجو منه مدِّهِ وزيادته تحيرًا في الحب لكي يستأنس بالوصال والقرب فقال من [الكامل](٣):

(١) عبدالرحمن بدوي: (شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية)، مكتبة النهضة المصرية،ط٢، القاهرة١٩٦٢م، ص٦٤.
(٢) عادل كامل الألوسي: (الحب والتصوف عند العرب)، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، بيروت١٩٩٩م، ص٨١ .
(٣) (ديوان ابن الفارض)، تحقيق: عبدالخالق محمود، مكتبة الآداب،ط٣،القاهرة ٢٠٠٧م. ص ٢٣١.

زدني بفـرطِ الحـبِّ فيـكَ تحيّـرا ∴ وارْحَمْ حشى بِلَظَـى هـواكَ تَسـعَّرا
وإذا سـألتُكَ أنْ أراكَ حقيقـةً ∴ فاسْمَحْ ولا تجعل جـوابِي لـنْ تـرى
يا قَلْبُ أنْتَ وعَـدْتَني فـي حُـبِّهِمْ ∴ صَبْرًا فَحَـاذِر أن تَضِـيقَ وتَضْـجَرَا
إنَّ الغرامَ هو الحيـاةُ فَمُـتْ بـه ∴ صَبّـا فحقـكَ أنْ تَمـوتَ وتُعـذرا
قل للـذين تقـدَّموا قَبلـي ومَـنْ ∴ بعْدِي ومن أضحى لأشْـجَاني يـرى:
عني خُذوا وبيَ اقْتدوا، ولِي اسْمَعُوا ∴ وتحـدَّثوا بصَـبابَتي بـيْن الـورى
ولقد خَلَوْتُ مـع الحبيـب وبيننـا ∴ سـرٌّ أرَقُّ مِـنَ النَّسيـم إذا سَرى

فهذه الحالة من الهيام الروحي والعشق الإلهي جعلت ابن الفارض يشعر بالتفوق على السابقين والمعاصرين من الصوفيَّة، وأنَّ ما حصل عليه من الله تعالى لم يحصل عليه أحد غيره، فهو يبيْن أنَّه السابق على الجميع في مجال الحبِّ الإلهي لدرجة أنَّه يطلب من الآخرين ألَّا يبحثوا عن أسرار الصوفيَّة إلَّا من خلاله ،فهو القدوة لغيره، ولولا استغراقه في الحبِّ الإلهي لما وصل إلى هذه الحالة من الحب الوجد والهيام، يقول[1]:

يُحشـرُ العَاشِـقونَ تحـتَ لـوائِي ∴ وجَمِيـعُ المـلاحِ تحْـتَ لوَاكـا

ويبدو أنَّ حبَّ ابن الفارض نشأ من مطالعة قلبه جمال الصفات الإلهيَّة في عالم الملكوت، ومشاهدة الذات العليَّة في عالم الجبروت، وتدرج في حبه ومناجاته إلى أن وصل إلى أسمى معاني ذلك الحب، وهو عشق الجمال الذاتي المطلق الذي لا يتقيد بقيد وهذا ما يتضح من قوله[2]:

وصرّحْ بـإطْلاق الجَمـالِ ولا تَقُـلْ ∴ بتَقييـدهِ مَـيلاً لِزُخْـرُفِ زينـة
فكُلُّ مليـحٍ حُسْـنُه مِـنْ جَمالهـا ∴ مُعـارٌ لـهُ، أو حُسـنُ كـلِّ مَليحـةِ

(١) (ديوان ابن الفارض)، مصدر سابق، ص٢٠٣.
(٢) المصدر السابق، ص ١١٤، ١١٣ .

ولقد تقلّب ابن الفارض بحسه ونفسه وروحه في أطوار الحب حتى أصبح محبًّا للجمال في كل صوره ومظاهره؛ حيث إنه رأى أنَّ الذات الإلهيَّة تتجلَّى في الجمال المطلق، فحسن كل شيء ليس في الحقيقة إلَّا معنى جزئيًا من معاني الجمال الكُلِّي، وهذا ما جعله يناجيها ويناديها ويتأمل في جمالها(١).

فالحبّ الإنساني للصورة الكونية إنَّما هو في الحقيقة حبٌّ إلهي موجه إلى الذات العليَّة التي تفيض من جمالها على المظاهر الكونيّة.

والصوفيَّة قد تغنُّوا بالحبّ والجمال والخمر، وذكر أسماء المعشوقات، فالمتأمل في ديوان ابن الفارض عامةً يجده يكاد يكون تصويرًا لعاطفة واحدة، هي عاطفة الحب الإلهي والمناجاة الربانية تلك العاطفة التي عبَّر عنها باستعمال طائفة كثيرة من ألفاظ الغزليين والخمريّين، وجعلها تخفى وتغمض في بعض القصائد، وتظهر وتتضح في بعضها الآخر من مثل الحب والعشق والهوى والغرام والصبابة، والشوق والاشتياق والجوى والقرب والبعد والوصل والصَّد، وغيرها من الألفاظ التي شاعت في ديوان ابن الفارض، ولا تخلو كل قصيدة منها فيقول في قصيدته التائية الكبرى (٢):

وجاوزتُ حدَّ العِشْق، فالحُبُّ كالقِلى ∴ وعَنْ شَأوِ مِعْـراجِ اتِّحـادي رِحْلَتِـي(٣)

فطب بالهَوَى نَفْسًا فقد سُدْتَ أنْفُسُ العِـب ∴ بَـادِ مـن العُبَّـادِ فـي كُـلِّ أُمَّـةٍ

(١) ينظر: د. محمد مصطفى حلمي:(الحب الإلهي في التصوف الإسلامي)، مرجع سابق، ص٦٨ .

(٢) (ديوان ابن الفارض) ، مصدر سابق، ص١١٨.

(٣) والشأو: السبق والغاية، والمراد به الثانية. والقلى: البغض. ينظر:ابن منظور:(لسان العرب)، مرجع سابق،ج١٤، ص٣٦٧،و ج١٥، ص١٩٨.

هذا الحب الذي جعل شاعرنا الشيخ أبي مدين يذوب جوىً وصبابة، ويسكر بخمر المحبة، ويناجي محبوبه ويشكو اللوعة والغرام، فيقول: (١)

كلُ واحدٍ لــه نصــيبٌ يــأتي ∴ وهـــواك لـــي نصـــيبْ
يا حياتي وأنــت فــي ذاتــي ∴ حاضـــرٌ لا تغيـــــبْ
أنت أسكرتني علــى ســكري ∴ مـــن قـــديم الشـــرابْ
ثم خــاطبتني كمــا تــدري ∴ ففهمـــت الخطـــــابْ
ثم شاهدت وجهــك البــدري ∴ عنـــد رفـــع الحجـــابْ
ثم صــيرتني رقيــب ذاتــي ∴ وأنـــت كنـــت الرقيـــبْ
يا حياتي وأنــت فــي ذاتــي ∴ حاضـــــرٌ لا تغيـــــبْ

فالمناجاة النابعة عن الحب الخالص والملتصقة به في كل أحوال المحب جعلت الشيخ أبا مدين يقر بأنَّ ذات المحبوب حاضرة في ذاته لا تغيب، هذه المحبة التي جعلته في سكر دائم وهيام مستمر، وصبابة وغرام بالمحبوب فهو القائل: (٢).

سقاني الهوى كأسًا من الحب صافِيًا ∴ فيـــا ليتـــه لمَّـــا ســـقاني ســـقاكُمُ
فيا ليت قاضي الحبِّ يحكــم بيننــا ∴ وداعي الهــوى لمَّــا دعــاني دعــاكمُ
أنا عبدكم بل عبــدُ عبــدٍ لعبــدكم ∴ ومملـــوككم مـــن بـــيعكم وشـــراكُمُ
كتبــت نفســي ومــا ملكــت يــدي ∴ وإن قلَّـــتِ الأمـــوال روحـــي فِـــداكُمُ

هكذا كان الخطاب الشعري في المناجاة الصوفيَّة نابعًا من الحبِّ الإلهيّ والاندماج والتماهي في الذات العليَّة، فالمحب في مَنْ يهوى يُغرم ويتيم، ويستلذ بحديثه ومحاورته؛ لذا فالعلَّاقة بين المناجاة والحب الإلهيّ علاقة تلازمية متشابكة .

(١) (ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص١٩.
(٢) المصدر السابق، ص٦٤.

الفصل الثاني
شعريّة خطاب المناجاة وبواعثه عند الصوفيَّة

مدخل :

لمَّا كان الشعر منبع الشعور وأداة التعبير المؤثرة عن الوجدان، آثر الصوفيَّة تسخيره في التعبير عن خلجاتهم، وأعماق وجدانهم تجاه خالقهم؛ بغية فهم ووصول تجاربهم إلى مريدهم، كما أنَّه من أنسب الأدوات للتعبير عن أشد الحقائق خفاء، وأكثر المسائل دقة .

ولا يخفى أنَّ الشعر الصوفي يتميز دائمًا بأنَّه يحلق في عالم الروح في السماء في النور في جلال الله ويعبر عن وجدان الشاعر وأعماق نفسه، فهو أدب وجداني خالص، ورومانسي حالم، وهو تأملي النزعة يجوب في الأعماق وينصهر في الأذواق ويرتقي صاحبه إلى الآفاق؛ مما يجعل الشاعر يجود بأعذب الألفاظ وأرقى المعاني .

والمناجاة الشعريَّة أعمق تأثيرًا، وأشد جذبًا من توظيفها نثرًا؛ لما للشعر من غلبة الاستحواز على الوجدان، وسرعة الوصول إلى أعماق الشعور، خاصةً وأنَّ المناجاة غالبًا تتعلق بالذات الإلهيَّة والحب والأنس والقرب والاتصال والتماهي في المحبوب .

فالخطاب الشعري في المناجاة له حالة خاصة في الأذواق لأنها تمثل خطاب موجه إلى صاحب الجمال والجلال والكمال من نفوس أضناها الشوق، وأوحشها الاغتراب في عالم زائف؛ لذا ارتبط الخطاب ببعض المصطلحات الدالة على عظيم شأن المناجاة مثل الخلوة، والسر، والتجلي، والمشاهدة ، وهذا ماجعل الشيخ أحمد بن عيسى الخراز(ت٢٧٩ه) يقول: [١]

حنين قلوب العارفين إلى الذكر ∴ وتذكارهم وقت المناجاة إلى السر
أديرت كؤوس المنايا عليهم ∴ فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر

(١) عبدالكريم القشيري: (أربع رسائل في التصوف)، مرجع سابق، ص٤٦٣.

المبحث الأول

استراتيجية الطلب في خطاب المناجاة الشعريَّة عند الصوفيَّة

إنَّ شعرية خطاب المناجاة تكمُن في تطويع اللغة المناسبة لاستراتيجية الطلب حتى يتم بلوغ المرام، وتسري التجربة الشعريَّة في وجدان السَّامع بجذب وإثارة، ويستلذ بالحوار الشعري، وأدبيات الطلب الروحي في المناجاة بين الشاعر والذات الإلهيَّة، هذا الأدب الذي طرقه الشيخ أبو مدين ملتمسًا به رضا مولاه بقوله: (١)

خَرَجْتُ عَنِّي وعن صِفَاتِي ∴ وَجِئْتُكُمْ أَشْتَهِي وُرُودِي
وَحَقِّكُمْ لَمْ أَزَلْ عُبَيْدًا ∴ حَوْلَ حِمَاكُمْ مَأْوَى الْفَقِيرِ

ولقد كان الالتماس في السؤال بشكله الطلبي ملفت في مناجاة أبي مدين، بل رُبَّما جعله استراتيجة خاصة للوصول والقرب متمثلًا في ذلك قول الله عزوجل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٢) حيث قال(٣)

فيا ملجأ المضطر عند دعائه ∴ أغثني فقد سُدَّتْ عليَّ مذاهبي
رجاؤك رأسُ المالِ عندي وربحُهُ ∴ وزهدي في المخلوق أزكى مكاسبي
وَيَا مُحْسِنًا فِيمَا مضى أَنْتَ قَادِرٌ ∴ على اللُّطْفِ بي في حالتي والعواقبِ
وإنِّي لأرْجو منك ما أنت أهْلُهُ ∴ وإنْ كُنت خطاءً كثيرَ المعائبِ

(١)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٩٠.
(٢) سورة البقرة الآية رقم،١٨٦.
(٣)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٦٧، ٦٨.

فاللجوء إلى الله القريب المجيب من أهم الوسائل في تحقيق العبودية، والضمان لسيرورة السلوك العرفاني والاتصال الرباني الذي دائمًا ينشده المناجي في مناجاته واستغاثاته.

كذلك من الاستراتيجية المؤثرة في الدعاء عند المناجي الاعتراف بجلال الله وقدرته ورجاء عفوه ومغفرته وهذا من موجبات القرب والاتصال يقول الشيخ أبي مدين: (١)

يَا ذا العلَّا فَضْلُكْ عميمْ اقْبَلْ سُـؤآلي ∴ اعْفُ عَنِّي يَـا كَـرِيمْ والطُـفْ بحَـالي
اجْعَلْ مَقَامي في النَّعِيم نَبْلُغْ آمـالي ∴ اعْفُ عَنِّي يَـا كَـرِيمْ والطُـفْ بحَـالي
يَا مَنْ بالْأُشَيا عَلِـيم إلَيْـكَ مَنَـالي ∴ اعْفُ عَنِّي يَـا كَـرِيمْ والطُـفْ بحَـالي

فالدعاء وتبعياته من التذلل والخضوع والانكسار والأمل والرجاء ليس هو الصورة النهائية للسؤال؛ بل هو امتداد لسلوكيات سابقة، وانفتاح على سلوكيات لاحقة تتجدد بتجدد درجات الوصول والقرب، فلا مناص من استحضار المناجاة والأنس حتى يتحقق الاتصال، ويبلغ درجة التماهي .

وعليه فالتذلل والخضوع، والتعلق بالأمل والرجاء في المناجاة من دواعي المحبة والقرب والاتصال بالذات الإلهيَّة التي يبغيها ويأملها المناجي، يقول الشيخ أبي مدين (٢)

إِلَيْكَ مَدَدْتُ الكَـفَّ فـي كُـلِّ شـدَّةٍ ∴ وَمِنْكَ وَجَدْتُ اللُّطْفَ فـي كُـلِّ نَائـبِ
وَأَنْـتَ مَلَـاذِي والأَنَـامَ بِمَعْـزِلٍ ∴ وَهَلْ مُسْـتَحِيلٌ فـي الرَّجَـاءِ كَواجِـبِ
فَحَقِّقْ رَجَائِي فيكَ يَـا ربِّ واكْفِنِـي ∴ شَـمَاتَ عَـدوٍ أوْ إسَـاءة صَـاحبِ
فَكَمْ كُرْبَةٍ نَجَّيْتَنِـي مِـنْ غِمَارِهَـا ∴ وكَانَتْ شَـجى بـينَ الحَشَـا والتَرَائـبِ
فَلَا قُـوَّةٌ عِنْـدِي ولَـا لِـي حِيلَـةٌ ∴ سِـوَى أنَّ فَقْـرِي للجَمِيـل المَواهِـبِ

(١) (ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٧٧، ٧٨.
(٢) المصدر السابق، ص٦٧، ٦٨.

فالدعاء المتضمن معنى المناجاة جعل الشاعر في حالة اتصال عقلي ووجداني، يستشعر قوة وعظمة الخالق جلَّ وعلا ، ويأمل بفكره وخياله تغيير حاله من الشدة إلى الرخاء، ومن الضعف إلى القوة المستمدة من حبيبه ومولاه .

كذلك يجعل الشاعر الصوفي المناجاة المنبثقة من الدعاء الذي يحمل استراتيجية الخضوع، سبيلًا لطلب العفو من الله عزوجل والاعتراف بفضله ونواله، وتفويض الأمر إليه في كل الأمور؛ لذلك يقول الشيخ أبي مدين [١]

يَا مَنْ عَلَا فَرأى ما في القُلوبِ ومَا ∴ تَحْتَ الثَّرى وظَلَامُ اللَّيلِ مُنْسَدلُ
أَنْتَ المُغِيثُ لِمَنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ ∴ أَنْتَ الدَلِيلُ لِمَنْ ضَاقَتْ بِه الحِيَلُ
إنَّا قَصَدْنَاكَ والآمَالُ واثِقَةٌ ∴ والكلُّ يَدْعُوكَ ملْهُوفٌ ومُبْتَهِلُ
فإنْ غَفَرْتَ فذو فَضْلٍ وذُو كَرَمٍ ∴ وإنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ الحَاكِمُ العَادِلُ

لعلَّ من الملاحظ قدرة الشيخ أبي مدين على سبر أغوار نفسه من خلال الاستراتيجية العالية في الطلب الذي أقحمه فيما يحب وهو مناجاة الذات العليَّة، فأظهره ضعف نفسه وعجزها في مشاهد تكاد تكون درامية، وفي مقابل ذلك استعراض بنور اليقين صفات المناجى المتمثلة في قوته ورحمته وعفوه ورضاه .

كذلك استطاع بشعريّة صوفيَّة فائقة أن ينقل تجربة ذوقية فريدة هيمنت فيها معاني التَّبتُّل والخضوع والابتهال والإخبات، وهو بهذا الذوق الصوفي العرفاني ربما " يكشف عن شاعريته التي نلمسها في المواقف، فالشعر هنا يكمل النثر، وكأنَّ أحدهما امتداد للآخر" [٢]

(١)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٦٧، ٦٨.
(٢) المصدر السابق، ص٦٧، ٦٨.

المبحث الثاني

المقامات والأحوال التي يدور في فلكها خطاب المناجاة الصوفيَّة

لا شكّ أنَّ المناجاة الصوفيَّة لا تأتي عفويَّةً دون بواعث وأهداف تستدعيها وتنتهي إليها، ولعلَّ من أهم ما يُحفز الصوفي على مناجاة الذات العليَّة المقامات والأحوال التي هي بمثابة الزاد الذي لا ينقطع ويمدد بالحياة .

فالمقامات والأحوال من الأسس المهمة في بناء الخطاب الصوفي وسريانه في الأعماق؛ لما لها من عميق الصلة بالدين ومواصلة التدبر في ملكوت الخالق والمعايشة في أنسه ووصاله، وقد أُثر عن الجُنيد أنَّه قال: " لا يبلغ العبد إلى حقيقة المعرفة وصفاء التوحيد، حتى يعبر الأحوال والمقامات"(١)

والحق إنَّ الهويّة العرفانيّة لدى الصوفي إنَّما تتحقق بالمقامات التي يترقى في مدارجها، والأحوال التي تلمع وتظهر مواهبها في سلوكه وتشغل وجدانه وجنانه، وفي هذه الأثناء تنبثق المناجاة باعتبارها أحد أهم الوسائل التواصلية التي تعكس حاجة المحب إلى المحبوب، والارتواء من رحيق قربه ووصله، ف" شراب المناجاة يروي ظمأ العشاق" (٢)

والمقامات التي ترتبط بالمناجاة تتمثل في الشكر، الرضا، التوكل، الصبر، الفقر، الزهد، الورع، التوبة(٣)

---

(١) أبو نصر السراج الطوسي: (اللمع)، مرجع سابق، ص٤٣٦.

(٢) حسن الشرقاوي: (معجم ألفاظ الصوفيَّة)، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة ١٩٨٧م، ص٢٦٥.

(٣) ينظر: أمين يوسف عودة: (تجليا الشعر الصوفي: قراءة في الأحوال والمقامات)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١، الأردن٢٠٠١م، ص١٦.

وهذه المقامات من أسباب الوصول والسير في مدارج الواصلين، فلا بُدَّ للسالك أن يجتاز المُوصِّلَات واحدة تلو الأخرى حتى يصل لمبتغاه، ف" الوصول هو الرؤية والمشاهدة بسر القلب في الدنيا، وبعين الرأس في الآخرة، فليس معنى الوصول اتصال الذات بالذات تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا"(١)

ومن أهم المقامات الموصلة للرضا والمناجاة والمحاورة مقام التَّوكُّل الذي مرجعه إلى قوة الإيمان وشدة اليقين، ويعني الاكتفاء بالله تعالى، واللجوء إليه، والاعتماد عليه.(٢) يقول الشيخ أبي مدين التلمساني (٣)

يَاعَالِمًا بالخَفَايَا سَأَلْتُكَ يَا مَوْلَى المَوَالِي ∴ أمحُ ذُنوبًا عَلَيا يَا مَنْ عليه اتكالي
إلَيكَ أشْكوا ما بي اجبر يَا مَوْلايا حَالِي ∴ أمحُ ذُنوبًا عَلَيا يَا مَنْ عليه اتكالي

ومقام الرضا الذي يتحقق بصدق التوكل لابُدَّ فيه للمحب من التخلي عما سوى المحبوب، وهذا ما أنشده أبو مدين في قوله: (٤)

أتَدَّعِي هَوانَا ∴ وتُظِهر الخِلاف
وتَبْتَغِي رِضَانَا ∴ مَا منكَ ذَا اتصاف
فَخَلِّي مِنْ سِوانا ∴ تُسْقَى الرِّضَا أوْ تُشَاف
يَا طَالِبَ الوِصَالِ مِنْ سَيِّدٍ عَلا ∴ إنَ الوِصَال غَالي ومَا غلا حلا

(١) أبو حامد الغزالي: (روضة الطالبين ، وعمدة السالكين، ضمن رسائل الإمام الغزالي)، دار الكتب العلَّمية، بيروت ١٩٨٦م، ص٢٦.
(٢) ينظر: عبدالكريم القشيري: (أربع رسائل في التصوف)، مرجع سابق، ص ٢٧٤ .
(٣)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٦٧.
(٤) المصدر السابق، ص٨٣.

أمَّا عن الأحوال التي تنبثق عنها المناجاة الصوفيَّة فتتمثل في المحبة والشوق والأنس، وكلها أحوال متداخلة مرجعها لموضوع الحبِّ الإلهي الذي أذاب قلوب العشاق والمحبين، فهو" الذي يتجه فيه الخطاب اتجاهًا مباشرًا إلى الحق تعالى، محمّلًا بالمحبِّة والشوق والأنس" (١)

فالحب منبع الجذب والتلذذ بمعية المحبوب، ومن تذوُّق الغرام، وذاق حلاوة المحبة الإلهيَّة " سهر الليل بمناجاة الجليل، والحنين إلى الغروب شوقًا إلى الخلوة بالمحبوب، ومناجاة سرائر الوجد، ومطالعة الغيوب"(٢)

كذلك من الأحوال التي تدور في فلكها المناجاة: الشوق، الأنس، القرب، وما تزاحم فيها من خطابات مؤثرة، كالدعاء والموعظة والمخاطبة، وكل ذالك يرى نماءه وراحته في الخلوة، فالذّكر" يصفو للذّاكر في الخلوة على وجه أتم، فينبت في القلب حلاوة المناجاة واستشعار معية الله تعالى، فيتم الأنس، لكن على نحو يليق بأن يكون أنس وداد"(٣)

فمقام الأنس من أعظم الأدلة على محبِّة الله تعالى للعبد وينتج عن ذلك أنَّه " يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهره، فيكون هو المشير عليه والمدبر لأمره.. والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته"(٤)

---

(١) ينظر: أمين يوسف عودة: (تجليا الشعر الصوفي: قراءة في الأحوال والمقامات)، مرجع سابق، ص١٦.

(٢) أبو طالب محمد بن علي المكي: (قوت القلوب في معاملة المحبوب)، دار الفكر، ج٢، بيروت،(د ـــــ ت) ص٦٠.

(٣) أمين يوسف عودة: (تجليا الشعر الصوفي: قراءة في الأحوال والمقامات)، مرجع سابق، ص٢٦١.

(٤) أبو حامد الغزالي: (إحياء علوم الدين)،دار المعرفة، بيروت (د ـــــ ت)، ص٣٢٩.

ومن أهم الخطابات المتداخلة مع فن المناجاة الدعاء، فعلى الرغم من أنَّ الدعاء له ضوابط وآداب حتى يرفع ويقبل عند الله تعالى إلَّا أنَّه يكون عامًّا في أي مكان وعلى أي وجه، وفي أي وقت، في الرخاء، والشدَّة، بخلاف المناجاة فغالبًا لها أوقات معينة، وتكون في الخلوة والعزلة، يهرع فيها المناجي إلى الله عند الضيق الشديد والحاجة القصوى؛ وعليه فالدعاء أعم من المناجاة يقول الشيخ أبي مدين [١] .

يَا رَبِّ أسألُكَ الرِّضَا والعَفو عنْ ∴ ما قَدْ مَضى يَا مَنْ عَلى العرشِ استوى

أَعْتِقْ عُبَيْدك مِنْ لَظَى نَارِ غَدًا ∴ نَزّاعةً يَومَ القِيَامةَ للشَوى

فالدعاء من معانيه التضرع والابتهال والخشوع والخضوع والتوسل لله عزوجل بغية إتمام النعمة وحصولها، أو إزالة النقمة وتخفيفها؛ لذا كانت المناجاة التي تعني القرب والوصول والتودد مقدمة الدعاء وتمهيدًا له فقد تطوَّر الدعاء من خلالها وتحول إلى"طقس دائم لدى الصوفي وهو يتوسل أنَّى شاء إلى معبوده ليحصل على دوام الصلة ودوام القربة، ولذة الفناء، ودهشة الشهود، وحقيقة المعرفة" [٢]

وعلى ما سبق يتبين أنَّ المقامات والأحوال بأنواعها ومفاهيمها المختلفة كانت عاملًا مُهِمًّا في استقرار المناجاة الأدبية لدى الخطاب الصوفي، لما لها من الاتصال المباشر بالمحبوب الأعظم جلّ جلاله، فالمخاطِب وهو يناجي ربه يكون متيم بلوعة الحب،ولهفة الشوق، وحلاوة الأنس، واستشعار القرب،ومتعة الوصل، كل ذلك أسهم في النهوض بشعرية المناجاة الصوفيَّة وغوصها في أعماق وجدان المتلقي .

(١)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٦٦.

(٢) قيس كاظم الجنابي: (التصوف الإسلامي في اتجاهاته الأدبية)، مكتبة الثقافة الدينية،ط١، القاهرة٢٠٠٦م، ص١٦٥.

الفصل الثالث
الجماليَّات الفنيَّة لخطاب المناجاة الصوفيَّة عند أبي مدين

مدخل:

الخطاب الصوفي بطبيعته خطاب ثري ساحر يؤسر الوجدان، ويثير الانتباه، ويشغل الفكر بالتدبر في جلال الله عزوجل والاندماج في أسراره وحقائقه، وخاصة إذا كان هذا الخطاب مناجاة شعريّة؛ لما لها من إظهار الخضوع والانكسار، والرغبة والرهبة بطريقة فنِّيّة وجماليّة تُحرك المشاعر الروحية، وتبعث فيها اللجوء إلى الخالق جلَّ في علاه واستحضاره في السراء والضراء .

ولقد قدَّم لنا التراث الصوفي زادًا وفيرًا من المعاني المعرفيّة والفكريّة، فقد جاء هذا التراث بمثابة "عقيدة متعددة الآراء والرؤى في الإسلام، وفي الوجود القائم و(الماورائي)، بل نظرة خاصة إلى الإنسان والنفس والسلوك، إنه فلسفة كاملة وتجربة فريدة غنية جديرة بالتعمق والغوص في أغوار المعاني والأبعاد التي تركها لنا هذا التراث" (١).

وعندما ترتقي الرؤية الشعريَّة في خطاب المناجاة قد يتجاوز النص حدود الواقع، ويفجر طاقاته، ويفتح مكوناته كي يمنح تجربة فنِّيّة غنية بالألفاظ والمعاني المعبرة، ثرية بالإيقاعات الداخلية والخارجية التي تثير الطرب وتحرك الشجن إلى حد يجعل لهذا الخطاب القبول والارتياح والعلُّوق بالأذهان، وهذا الذي توافر بأسلوبٍ فنيّ عالٍ ومُتَمَيّز في خطاب أبي مدين التلمساني.

(١) د. رفيق العجم: (موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي)، مكتبة لبنان ناشرون،ط٩، بيروت لبنان١٩٩٩م، ص١،٢.

المبحث الأول

التشكيل اللغوي في خطاب المناجاة عند أبي مدين التلمساني

إن كانت اللغة الصوفيَّة في مجملها لغة إشارية تعتمد كثيرًا على التلويح والإيماء، وهي اللغة المركّزة والمفعمة بالدلالات والمفردات التي تعارف عليها الصُّوفيون، فإنَّ هذا يعدُّ شكلًا جماليًّا وفنيًّا يثير الانتباه ويجذب العقل بالتفكير والتدبر، وهذا ما ينشده عادةً جُلُّ الصوفيَّة، يقول ابن عربي: (١)

عِلْمُ الإشَارةِ تَقْرِيبٌ وإبْعَادٌ ∴ وَسَيْرُهَا فِيكَ تَأْوِيبٌ وإسْئادُ

ويقول ابن الفارض: (٢)

وَعَنِّي بِالتَّلْوِيحِ يَفْهَمُ ذَائِقٌ ∴ غَنِيٌّ عَنِ التَّصرِيحِ للمُتَعَنِّتِ

ولعلَّ من المعروف أنَّ اللغة تعد المرتكز الأهم في بنية النص الشعري، فهي المكوِّن الأساس الذي يمنح الشعر شاعريته المصورة للمعاني المختلجة في نفس المبدع، فهي بحق أداة الانفعال الباعثة على ما يريد أن يستحضره الشاعر من معان معبرة عما يحس، أو يرغب في البوح به وبخاصة أنَّ الذي ينظمه عبارة عن مناجاة للذات العليَّة فيضفي على ألفاظه طلاء من الايحاءات النفسية.. ويعبر عنها من خلال اللغة التي تتسع فيها حسب رؤية الشاعر الألفاظ والتراكيب، والإيقاع، والصور المتباينة، ومن ثمت تتيح للمتلقي مجالًا رحبًا من التفاعل مع تجربته.

ولا يخفى أنَّ التفاعلَ يتمُّ عن طريق الاقتناع بالتجربة والمعايشة فيها والاستمتاع بدقة نظم الألفاظ المعبرة عن المعاني المختلجة في النفس؛ لأنَّ" الأنظمة اللغوية ليست

---

(١) ابن عربي: (الفتوحات المكية)، طبعة إلكترونية، مكتبة المصطفى www.al.mostafa.com ص٢٩٤.

(٢) (ديوان ابن الفارض)، تحقيق: عبدالخالق محمود، مكتبة الآداب،ط٣،القاهرة ٢٠٠٧م. ص ١٢٩.

بذات وظيفة جمالية إلّا عن طريق علاقاتها المتبادلة حين يفسّر أحدها الآخر، ويدعم دوره؛ لأنَّ الفعل الموجد للنشاط اللغوي يوجه كل عنصر إلى موضعه من نظامه، كما يوجه كل نظام إلى علاقته بغيره محددًا للسياق الشعري وجهته نحو البناء الشعري الكامل"(١)

واللغة الصوفيَّة ربما مرَّت بمراحل متعددة ففي بدايتها كانت" بسيطة بساطة تجربة الصّوفي نفسه تلك التجربة التي كان يساعده القرآن على تبلورها من خلال التلاوة، فالتجربة الصوفيَّة وليدة التفكير في القرآن، والإكثارمن تلاوته، وإستعادة بعض ألفاظه، كالمحبة والقرب، والشوق، وهنا يمكن القول إنَّ التصوف نشأ نشأة إسلامية خالصة"(٢)

ثم بعد ذلك بدأت اللغة الصوفيَّة تأخذ في كثير من الأحيان الإطار الفلسفي حيث بلغت" التجربة الصوفيَّة أشُدها، وأصبح لها كيانها الخاص، بعدما كانت مرتبطة بالقرآن الكريم تستمد منه بعض ألفاظه وتكثر من تلاوته والتّدبر فيه، لتصير تجربة خلّاقة تأتي بأشياء جديدة .. وبهذا التقدّم الذي شهدته التجربة الصوفيَّة تطورت معها لغة التصوف.. وصارت تعتمد الاستبطان والتأويل" (٣)

وفي الأخير تطورت اللغة الصوفيَّة تطورًا ملحوظًا، "وبلغت الرؤية الصوفيَّة أقصاها مع منتصف القرن الرابع الهجري، فانتقل الصوفي من التفكير في القرآن إلى مخاطبة الله.. ويمزج في هذه اللغة الرمز بالإشارة ويكسوها الغموض والانبهام وتصبح مستغلقة حتي على ذهن الخواص"(٤)

(١) عبدالمنعم تليمة: (مدخل إلى علم الجمال الأدبي)، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٢م، ص٩٩.
(٢) حميدي خميس: (اللغة الصوفيَّة) مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد ١٠، سنة١٩٩٦م ، ص٣٦، ٣٧.
(٣) المرجع السابق ص ٣٧.
(٤) حميدي خميس: (اللغة الصوفيَّة) مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، مرجع سابق ص ٣٨.

والناظر في اللغة الشعريَّة عند أبي مدين التلمساني في مناجاته يلحظ أنَّه اختار الألفاظ السهلة البسيطة التي تتناسب مع مقام المناجاة، فالمناجي دائما يستدر حنان وعطف من يناجيه، والمدقق في لغة الشعر الصوفي يجد أنَّ" لغة التصوف في جماليتها وإبداعها تخلق وحدة فنية، ومن ثَمَّ شعورية فكريّة ترتفع بالمشاعر وهي تعبر عن تجربة عرفانية فريدة، تكشف الدلالة بوعيٍّ مرهفٍ وحسٍّ وثّاب قائم على قصدية منفتحة على تصور شديد الخصوصية، وكذلك هي لغة المتصوفة التي اخترعوها فهي على رقتها وسهولتها وتنوعها ذات دلالة اشتقاقية خاصة"(١)

فبالتأمُّل في قول أبي مدين: (٢)

تملّكتموا عقلي وطرفي ومسمعي ∴ وروحي وأحشائي وكلي بأجمعي
وتيهتموني في بديع جمالكم ∴ ولم أدر في بحر الهوى أين موضعي
وأوصيتموني لا أبوح بسركم ∴ فباح بما أُخفي تفيض أدمعي
ولمَّا فَنِيّ صبري وقَلَّ تَجَلُّدِي ∴ وفارقني نومي وحُرِّمتُ مضجعي
أتيتُ لقاضي الحبِّ قُلتُ أحِبَّتي ∴ جَفَوْني وقالوا أنت في الحب مُدعي
وعندي شهودٌ للصبابةِ والأسا ∴ يزكون دعواي إذا جئتُ أدَّعي
سُهَادي ووجدي واكتئابي ولوعتي ∴ وشوقي وسقمي واصفراري وأدمعي

نجد أنَّ اللغة الصوفيَّة التي استخدمها أبو مدين تعبر عن التجربة العرفانية المتميزة من الرقة ورهافة الحس والسهول، ودقة الأداء ما يحرك الخيال ويؤسر المشاعر ويرتقي بها إلى أفق الاندماج والتماهي.

(١) حسين جمعة: (جماليات التصوف مفهومًا ولغة)، مجلة الموقف الأدبي، عدد٣٦٤، اتحاد الكتاب العرب دمشق ص ٢٢.

(٢)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٦٠.

وربما تكمن الوظيفة الجمالية للّغة الصوفيَّة في أسر انتباه المتلقي، وحيرته في سمات الجمال ودقة الأداء، وقد أدرك ذلك ابن عربي حين نوَّه على سر بقائها وروعة جمالها، فقال:" تتحصّل من تفاعل لفظها مع معناها، وتداخلهما، فجمال الشعر والكلام أن يجمع بين اللفظ الرائق، والمعنى الفائق، فيحار الناظر والسامع فلا يدري، اللفظ أحسن، أو المعني، أو هما على السواء، فإنَّه إذا نظر إلى كل واحد منهما أذهله الآخر من حُسنه، وإذا نظر فيهما حيراه، واختلال أحدهما ينجم عنه تراجع القيمة الجمالية للقصيدة؛ لأنَّ العلَّاقة بين اللفظ والمعني هي عينها علاقة الصورة بالروح"(١)

ولعلَّ من المعروف أنَّ الملاءمة بين اللفظ والمعنى من أهم مظاهر الجمال في التجربة العرفانية والخطاب الصوفي؛ لِمَا لها من سلطة الاستحواز وقدرة الأسر عند كثير من الناس، وهذا ما تنبه إليه أبو مدين الغوث في مناجاته، فتراه يقول: (٢)

تذلّلتُ في البلدان حين سبيتني ∴ وبتُّ بأوْجَاعِ الهوى أتقلّبُ
فلو كان لي قلبان عشت بواحدٍ ∴ وأتركُ قلْبًا في هواك يعذبُ
ولكن لي قلْبًا تملكه الهوى ∴ فلا العيشُ يهنأ لي ولا الموتُ أقربُ

فسهولة الألفاظ ودلالتها على المعنى يجعل المتلقي يعيش التجربة ويستمتع بما فيها من روحانية ووجد واتصال وقرب من الذات العليَّة .

كذلك من الفنيَّات الجمالية في تجربة أبي مدين العرفانيّة من خلال خطاب المناجاة دقة الأسلوب وبراعة تشكيلة، فلمَّا تحتّمَ على المبدع أن ينتقي الألفاظ اللغوية التي تتواكب مع متطلبات النص الشعري الذى يحمل رؤيته. وهو ما يعني أنَّ هذه الألفاظ لابُدَّ

(١) خالد بلقاسم: (الكتابة والتصوف عند ابن عربي)، دار توبقال للنشر، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٠٤.

(٢)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٦٠.

أن تكون وافية بأبعاد التجربة الشعريَّة كان لا بد أن تؤدى بأسلوب عالٍ مفعم بالدلالات الموحية التي تمرر النص الشعري، وتسوغ غايته المنشودة من قبل المبدع .

ولا أحد ينكر أنَّ الشعر قد تحوَّل على أيدي المتصوفة إلى فلسفة يفجرها الشاعر الصوفي من خلال التأمل الخالص المُشرّب بالعاطفة المتقدة، فالشعر الصوفي "إيحاء ثري، وحزن اغترابي، متوفر على عاطفة جامحة بدأت فيضًا تلقائيًّا في التعبير عن طبيعتها،ومخزونها ومظاهرها"(١).

وعلى ذلك جاء أسلوب أبي مدين في مناجاته لمحبوبه معمّقًا، متجاوزًا الأشكال المباشرة في الإبلاغ والإفهام، مع إتاحة مساحات خصبة للتأويل انفتح من خلالها النص على آفاق متسعة ساعدت على بث أبعاد التجربة وتوصيل مضامينها للسامع .

ومن أهم الأساليب التي أجاد أبو مدين في حسن اختيارها وبراعة تشكيلها لمناسبتها مقام المناجاة أسلوب النداء، وهو طلب الإقبال، ويؤتى به لغايات إبداعيّة وفنيّة عديدة،ويكون للبعيد والقريب، ولكنَّ أبا مدين استخدمه دائمًا للقريب ليناسب مقام المناجاة، فتراه يقول: (٢)

فيا ملجأ المضطر عند دعائه ∴ أغثني قد سُدَّت عليّ مذاهبي

رجاؤك رأس المال عندي وربحه ∴ وزهدي في المخلوق أزكى مكاسبي

ويا مُحْسنًا فيما مضى أنت قادر ∴ على اللطف بي في حالتي والعواقب

فأداة النداء عملت على اندماج القارئ والسامع مع النص والمعايشة مع التجربة عقليًّا ووجدانيًّا.

(١) محمد راضي جعفر:" الرؤى الصوفيَّة في الشعر العربي المعاصر"، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية جامعة بغداد، سنة ١٩٩٩م، ص٦٠.

(٢)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٦٧، ٦٨.

كذلك من الأساليب التي كان لها حضور فاعل في تجربة أبي مدين أسلوب الأمر وهو من الأساليب التي يتجاوز فيها الشاعر حاجز الصمت، ويفجر قوة الانفعال المتراكم في الذات، ويحمل المخاطب في المناجاة على الاستعطاف، والالتماس، ومع أنَّ صيغة الأمر تحمل نزعة خطابية فيها استعلاء إلَّا أنَّ أبا مدين وظفها في التجربة العرفانية، ومقام المناجاة، فتراه يقول:(١).

عيدوا إليَّ الوصال عيدوا ∴ فإنَّ وصلي بكم جديد
وقرِّبوا الوصل والتَّداني ∴ فالقربُ للعاشِقينَ عيدو
خُذوا فؤادي وفتشوه ∴ وقلِّبوه كما تريدوا
فإنْ وجدتم فيه سواكم ∴ عليَّ زيدوا البُعاد زيدوا

هكذا كان للاستعمال اللغوي والأسلوبي أثرٌ بالغٌ في خطاب المناجاة الشعريَّة عند أبي مدين، حيث أسهم في ثراء التجربة وسرعة فهمها.

(١) المصدر السابق، ص٦٠.

المبحث الثاني

الإيقاع الموسيقي وفاعليته في خطاب المناجاة عند أبي مدين

الرنين الموسيقي في القصيدة الشعريَّة يمثل سلسلة من التشكيلات اللغوية الدالة والعلَّاقات اللفظية التي تتبلور في مقاطع نغمية متسقة منتظمة، يحمل مجموعها التوحيد الكلي الموسيقي للنص "والشعر صورة جميلة من صور الكلام"(١)، فتضفي عليه الرونق والبهاء، وتدفع عن السامع السآمة والملل .

وتأتي الأهمية الكبرى للإيقاع الموسيقي في أنَّ العلَّماء القدامى وربما لا يختلف عن هذا المحدثين عرَّفوا الشعر أنَّه الكلام الموزون المقفى؛ "لأنهم يروْنَ الانسجام الموسيقي في توالي مقاطع الكلام، وخضوعها إلى ترتيب خاص خاضع لتكرار التفاعيل الشعريَّة ، إضافة إلى تردد القوافي وتكرارها ... كما أنهم عَرَفوا للشعر نواحي أخرى تتعلق بالمعنى، وما فيه من خيال وصور جديدة تؤثر في النفس تأثيرًا شديدًا.. ولكنهم اكتفوا بما يفصل الشعر عن النثر،مركزين على ما يسترعي الانتباه،ويطرب الأسماع، وهو موسيقا الشعر"(٢) .

والناظر في خطاب المناجاة الشعريَّة عند أبي مدين الغوث يجد التفاعل النغمي والموسقي المتماشي مع نغم المناجاة على أثر التفاعل الموجب بين الخطاب الشعري المُتَّقد، وحالة الوجد والهيام التي يعيشها الشاعر، "فليس الشعر في الحقيقة إلَّا كلامًا موسيقيًّا ننفعل لموسيقاه، وتتأثر القلوب به"(٣) .

---

(١) د . إبراهيم أنيس: (موسيقا الشعر)،مكتبة الأنجلو المصرية،ط٥، القاهرة ١٩٨١م، ص٧ .

(٢) د .عبادة السعيد:" القيم الموسيقية في الشعر العربي" ، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد: الثاني، عام١٩٩٨م، ص٢١٢.

(٣) د . إبراهيم أنيس:(موسيقا الشعر)، مرجع سابق،ص١٦.

ولا يخفى أنَّ التعرّض لنقد التشكيل الموسيقي في فن المناجاة بصفته أبرز عناصر التشكيل الفني في القصيدة أمرٌ ليس سهلًا؛ لما في الموضوع من حدَّة وغموض أحيانًا، كذلك الشحنات الانفعالية التي تصاحب الحالة النفسية للشاعر قد يكون تأثيراتها سببًا في تغير البنية الإيقاعية للقصيدة؛ "لأنَّ موسيقا النفس تتوقف على موسيقا اللفظ، فكلما كانت الكلمة متآلفة المقاطع، متناسقة الأصوات اشتد تأثيرها في العقل، وحسن وقعها لدى النفس، وذلك بموسيقاها العذبة، ونغمها الجميل، وما ذلك التأثير إلَّا نغم النفس الناشئ عن ارتياحها، وسلوكها مسلكها الطبيعي الخالي من الدهشة والاضطراب"(١) .

فالتشكيل الموسيقي في بنية القصيدة يعد من الجوانب المهمّة والرئيسة في التجربة الشعريَّة" إذ تنساب أنغامها في وجدان الشاعر ألحانًا ذات دلالة، وتصقل موهبته النغمية، وتوقظ لديه التلوين الإيقاعي الذي يستخدمه، وتنشئ فيه الإحساس بجرْس الكلمة ونبر اللفظ،وتطبع أذنه بطابع الانتقاء والاختيار"(٢)، وهي ضرورية لإحداث التجاوب بين المتلقي والأنغام التي تمثل جزءً مُهِمًّا من التجربة الجمالية، وإطارًا انفعاليًّا للغة الشعر "إذ إنَّ الشعر تنظيم لنسق من أصوات اللغة، وقد استجاب الشاعر للإيقاع المنظم بوحي نظرته، وطبيعة حاسته حين جعل تطريب النفس بالموسيقى هدفًا لرسالة شعره"(٣).

(١) د. حامد عبدالقادر: (دراسات في علم النفس الأدبي)، المطبعة النموذجية، القاهرة١٩٤٩م، ص٩٣.

(٢) عباس عجلان:(عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى)، مؤسسة شباب الجامعة، مصر ١٩٨٥م، ص٦٤.

(٣) على ابراهيم أبوزيد: (الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي)، دار المعارف، ط١، مصر١٩٨٣م، ص٣٦٣.

ولعلَّ الناظر في مناجاة أبي مدين يلاحظ براعته في توظيف الإيقاع بشقيه الداخلي والخارج، حيث جاء الإيقاع مناسبًا بدرجة كبيرة لمقام النجوى ولوازم المناجاة .

١ الإيقاع الداخلي:

وبما أنَّ الإيقاع الداخلي يمثل الرنين المتواتر في جُمل، وألفاظ، وحروف القصيدة كان من اللازم حسن الاختيار،ودقة التشكيل حتى يتحقق الانسجام والتوازن الموسيقي المشبع لرغبة التواصل عند السَّامع، وعلى سبيل المثال من أهم الأسس المؤثرة في الإيقاع الداخلي تكرار الأصوات لما لها من علاقة وطيدة بالمعنى فالأصوات دائمًا هي رمز للمعاني.

والمتتبع لشعر أبي مدين ومناجاته يجد رواجًا وتكرارًا لحروف معينة ربما استلزمها مقام المناجاة كالأصوات الساكنة المتوسطة بين الشدة والرخاوة، ومنها على سبيل المثال صوت حرف النون الذي تميَّز بكثرة تكراره وحضوره في شعر أبي مدين، حيث كان لهذا الصوت ارتباط وثيق بالمناجاة والنجوى" أي أنَّها ترتبط بالبكاء وما يسبّب البكاء مثلما أنَها تتناسب من حيث قيمتها الإيقاعية مع التعبير عن هذا المعنى وأدائه"(١)

ومن النماذج على تكرار صوت النون الذي أحدث رنينًا جذّابًا حيث تكرر إحدى وتسعين مرّة في القصيدة تعبيرًا عن الحب الإلهي واستلذاذًا بمقام المناجاة، قوله: (٢)

ونحيا بذكركم إذا لم نراكم ∴ ألا إنَّ تذكار الأحبة ينعشنا
فلولا معانيكم تراها قلوبنا ∴ إذا نحن أيقاظٌ وفي النوم إن غبنا
لمتنا أسىً من بعدكم وصبابةً ∴ ولكنَّ في المعنى معانيكم معنا

(١) أماني سليمان داود: (الأسلوبية والصوفيَّة في شعر الحسين بن منصور الحلاج)، دار مجدلاوي، عمان، الأردن٢٠٠٢م، ص٨٥.

(٢)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٩٥.

يُحركُنـــا ذكـــر الأحاديـــث عـــنكم ∴ ولولا هواكم فـــي الحشـــا مـــا تحركنـــا

لعلَّ هذه الصورة التي رسمها صوت حرف النون مشابهة لتلك الحالة التي يعيشـــها أبو مدين من النجوى والمناجاة؛ ولذلك بنى الشاعر قصيدته عليه فجـــاء رويُّهـــا نونًـــا مشبعة بألف، وهذه النون بما فيها من الفخامة توحي دائمًا بالســـمو والارتقـــاء إلـــى الأنس، ومناجاة الذات الإلهيَّة التي يحاول جاهدًا الوصول إليها .

أيضًا من النماذج الملفتة للإيقاع الداخلي في شعر المناجاة عند أبي مدين اســـتخامه لأصوات حروف اللين، ووعيّه بأهمتها الموسيقية، حيث إنَّ:" لحروف المـــدِّ والحركـــات وظيفة فنية صوتية إذ تؤدي في كثير من الأحيان إلى تنوع النغمة الموسيقية للفظـــة أو الجملة، فهي ذات مرونة عالية، وذات سعة في إمكانياتها الصوتية، فتضـــفي موســـيقى خاصة ذات تأثير نفسي يشبه ذلك التأثير الذي يحققه اللحن الموسيقي"[١] قوله: [٢]

تضيق بنا الـــدُّنيا إذا غبـــتم عنَّـــا ∴ وتـــذْهبُ بالأشـــواق أرواحنـــا منَّـــا

فبُعْـــدُكم مـــوتٌ وقـــربكم حيـــا ∴ فإن غبتمـــوا عنَّـــا ولـــو نفسًـــا متنـــا

نمـــوت ببعـــدكم ونحيـــا بقـــربكم ∴ وإن جاءنا عنمك بشـــير اللِّقـــا عِشْـــنا

فأصوات حروف المد أعطت الشعر نغمًا جذّابًا؛ لأنها عند النطق بها تستغرق زمنًـــا طويلًا، وهذا ربما"يتناسب دلاليًّا مع الصوت المصاحب للنداء أو المخاطبة عن بعد، فكثير منها يوحي بنداء ضمني يتمثل في مناجاة الشاعر للذات العليَّـــة التـــي يتعلـــق بهـــا ويخاطبها طلبًا للوصول أو شرحًا لحاله الذي يعاني فيه الألم والحزن والحســـرة، أو البث والشكوى والأنين وطلب المواساة"[٣]

(١) أماني سليمان داود: (الأسلوبية والصوفيَّة في شعر الحسين بن منصور الحلاج)، مرجـــع سابق، ص٨٧.
(٢)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٩٥.
(٣) أماني سليمان داود: (الأسلوبية والصوفيَّة في شعر الحسين بن منصور الحلاج)، مرجـــع سابق، ص٨٨.

٢ الإيقاع الخارجي:

أمَّا عن الإيقاع الخارجي في خطاب المناجاة عند أبي مدي، فقد استخدم أكثر البحور العروضيِّة دورانًا في الشعر العربي، وهي: (الطويل، والبسيط، والكامل، والخفيف، والرّجز، والمتقارب)، وربّما آثر ذلك ليتناسب مع مقام المناجاة وحال الشكوى والأنين؛ ولأنَّ هذه البحور تنسجم مع تجربته الشعريَّة، فتتيح له بث خلجات نفسه، وتسمح له بالإطالة والإطناب لأنَّ المقام يتطلب ذلك .

أيضًا بحر الطويل والسبيط اللذان وظفهما أبو مدين بكثرة في مناجاته من البحور الشعريَّة ذات المقاطع الصوتية الطويلة" والشاعر في حالة اليأس والجزع يتخيّر عادةً وزنًا طويلًا كثير المقاطع، يصب فيه من أشجانه ما يُنفَس عنه حزنه وجزعه" (١)، يقول أبو مدين من بحر الطويل: (٢)

يا رب أسالك الرضى والعفو عن ∴ ما قد مضى يا من على العرش استوى
أعتق عُبَيْدَك من لظى نار غدا ∴ نزَّاعةً يوم القيامة للشَّوى

ويقول من بحر البسيط: (٣)

يَا مَنْ عَلَا فَرأى ما في القُلوبِ ومَا ∴ تَحْتَ الثَّرى وظَلَامُ اللَّيلِ مُنْسَدلُ
أَنْتَ المُغِيثُ لِمَنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ ∴ أَنْتَ الدَلِيلُ لِمَنْ ضَاقَتْ به الحِيَلُ
إنَّا قَصَدْنَاكَ والآمَالُ واثِقةٌ ∴ والكلُّ يَدْعُوكَ ملْهُوفٌ ومُبْتَهِلُ
فإنْ غَفَرْتَ فذو فَضْلٍ وذُو كَرَمٍ ∴ وإنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ الحَاكِمُ العَادِلُ

(١) محمد صابر عبيد: (القصيدة العربية بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية)، ص١٩.
(٢)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٦٦.
(٣) المصدر السابق، ص٧٠.

أمَّا عن اختياره للقوافي في مناجاته فقد كان مناسبًا لحالة الوجد والهيام والأنس مع محبوبه ومن النماذج على ذلك قوله: (١)

فيا ليت قاضي الحبِّ يحكم بيننا ∴ وداعي الهوى لمَّا دعاني دعاكمُ
أنا عبدكم بل عبدُ عبدٍ لعبدكم ∴ ومملوككم من بيعكم وشراكُمُ
كتبت نفسي وما ملكت يدي ∴ وإن قلَّتِ الأموال روحي فِداكُمُ

فالشاعر قد التزم بنغمة صوت الميم المضافة إلى كاف الخطاب قافيةً لقصيدته، وهذا ربما يتناسب كثيرًا مع مقام النجوى، ولذة المناجاة، فصوت الميم من الأصوات المجهورة المتوسطة بين الشدّة والرخاوة، وكاف الخطاب من الأصوات التي تعطي نغمة التنبيه والجذب، الأمر الذي جعل الشيخ أبو مدين متمسكًا بإضافة الكاف إلى الميم، ناهيك عن المد الطويل الناشئ من حركة الميم مما يتماشى مع دلالة الأبيات، كما يلمح المتنعم في هذه القافية نغمة الخضوع والانكسار، وهذا ما تستدعيه المناجاة والتَّجلّي .

وعلى ما سبق يتبيّن أنَّ خطاب المناجاة الصوفيَّة خطابٌ ثريٌّ يحمل المتلقي على التدبُّر والخضوع والخشوع لله تعالى ، واللجوء إليه في السراء والضراء .

(١)(ديوان : أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، مصدر سابق، ص٦١.

خاتمــة

الحمد لله الذي بفضله تتمُّ الصالحات، والصّلاة والسّــلام علــى رســول ربِّ الأرض والسموات، خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أمَّا بعد،،،

فلمَّا كان الشعر الصوفي رافدًا مُهِمًّا، ومجالًا رحبًا للتعبيرعمــا يُخــتلج فــي نفــس الشاعر بطريقة فيها الإثارة والجذب، اعتمد عليه الصــوفيَّة فــي المناجــاة، والبــوح، والتعبير عما يتأجج في صدورهم من فيض المحبة، وقوة الشوق، فجادت قرائحهم بشعر يجذب الألباب، ويحرك الوجدان، ويعبر عن صادق مشاعرهم، وفيض عــواطفهم تجــاه الذات الإلهيَّة، من هذا المنطلق كان الحديث في هذا البحث عن(أدبيات الخطاب الشــعري في المناجاة الصوفيَّة" شعر أبي مدين التلمساني أنموذجًا "، وقد توصّل البحث إلى العديد من النتائج المبثوثة في ثناياه، نذكر منها:

١ أنَّ الخطاب الشعري في المناجاة الصوفيَّة ثريٌّ بالفيوضات والتجليّات الإبداعيّة التــي تُمتِع القارئ والسامع وتستحوذ على المشاعر والتفكير .

٢ أنَّ المناجاة الصوفيَّة عندما تترجم عن طريق الشعر ربَّما تكون أقرب إلى الوجــدان؛ لأنَّ الشعر بموسيقاه وألحانه التي تتراوح بين الشدّة والرخاوة يلمس شغاف الشعور، ويدلل على الصدق العاطفي، وبخاصة إذا كان هذا الشعر مناجاة إلهيّة، لما فيها مــن التجليّات والتماهي في الذات العليَّة .

٣ أنَّ الخطابَ الصوفي في المناجاة الشعريَّة عند أبي مدين كان يمثل تجربــة إبداعيّــة جماليّة بثَّ من خلالها عواطفه العقدية، وحبّه للذات الإلهيَّة.

وبعد،،،، فالحمدلله أولًا وأخرًا على تمام فضله وكثير نعمائه، هذا ما منَّ اللهُ علــيّ به في هذا البحث ولا أدَّعي أنّي استحدثت فيه جديدًا بقدر ما أطمح أنْ أُسهم في إثــراء أدبنا العربي، وتجلية هذا الفن ما أمكن .

والله وليّ التوفيق والسداد

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم تبارك مَنْ أنزله.

ثانياً: الدواوين الشعريَّة.

١ (ديوان: أبي مدين التلمساني شعيب الغوث)، تحقيق:د.عبالقادر سمود، د. سليمان القرشي،دار كتاب ناشرون، ط١، بيروت، لبنان٢٠١١م.

٢ (ديوان: أمية بن الصلت)،تحقيق:د.سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، ط١، بيروت ١٩٨٩م.

٣ (ديوان: عدي بن زيد)، تحيق: محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد ١٩٦٥م .

٤ (ديوان ابن الفارض)، تحقيق:عبدالخالق محمود، مكتبة الآداب، ط٣،القاهرة ٢٠٠٧م.

ثالثاً: المصادر والمراجع.

٥ إبراهيم أنيس:(موسيقا الشعر)،مكتبة الأنجلو المصرية،ط٥، القاهرة ١٩٨١م.

٦ أماني سليمان داود:(الأسلوبية والصوفيَّة في شعر الحسين بن منصور الحلاج)، دار مجدلاوي، عمان، الأردن٢٠٠٢م.

٧ آمنة بلعلَّى:(تحليل الخطاب الصوفي: في ضوء المناهج النقدية المعاصرة)، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر٢٠٠٢م

٨ أمين يوسف عودة:(تجليا الشعر الصوفي: قراءة في الأحوال والمقامات)،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١، الأردن٢٠٠١م .

٩ جمال الدين بن منظور:(لسان العرب)، مراجعة وتصحيح مجموعة من الأساتذة، المجلد الثامن، دار الحديث، القاهرة٢٠٠٣م

١٠ حامد عبدالقادر : (دراسات في علم النفس الأدبي)، المطبعة النموذجية، القاهرة ١٩٤٩م.

١١ أبو حامد الغزالي:(روضة الطالبين ، وعمدة السالكين، ضمن رسائل الإمام الغزالي)، دار الكتب العلَّمية، بيروت ١٩٨٦م .
١٢ حسن الشرقاوي:(معجم ألفاظ الصوفيَّة)،مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة ١٩٨٧م.
١٣ خالد بلقاسم:(الكتابة والتصوف عند ابن عربي)، دار توبقال للنشر، ط١، ٢٠٠٤م .
١٤ خير الدين الزركلي:(الأعلام)، دارالعلَّم للملايين، ط١٥، آياد٢٠٠٢م
١٥ رفيق العجم:(موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي)، مكتبة لبنان ناشرون،ط٩، بيروت لبنان١٩٩٩م.
١٦ أبو طالب محمد بن علي المكي:(قوت القلوب في معاملة المحبوب)، دار الفكر،ج٢، بيروت،(د ت) .
١٧ عادل كامل الألوسي:(الحب والتصوف عند العرب)،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، بيروت١٩٩٩م .
١٨ عبد الحكيم حسان:(التصوف في الشعر العربي: نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثالث الهجري) ، مكتبة الأنجلو، القاهرة، (د ت) .
١٩ عباس عجلان:(عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى)، مؤسسة شباب الجامعة، مصر ١٩٨٥م.
٢٠ عبدالرحمن بدوي:(شهيدة العشق الإلهي رابعة العدوية)،مكتبة النهضة المصرية،ط٢، القاهرة١٩٦٢م.
٢١ عبدالكريم القشيري:(أربع رسائل في التصوف)، تقديم: قاسم السمرائي، مطبعة المجمع العلَّمي العراقي، بغداد١٩٦٩م .
٢٢ عبدالمنعم تليمة: (مدخل إلى علم الجمال الأدبي)، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٢م.
٢٣ أبوعبدالله الحاكم:(المستدرك على الصحيح)،دراسة وتحقيق:مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلَّمية، ج١، ط١، بيروت١٤١١ه .

٢٤ ابن عربي: (الفتوحات المكية)، طبعة إلكترونية، مكتبة المصطفى
. www.al.mostafa.com
٢٥ علي ابراهيم أبوزيد:(الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي)، دار المعارف، ط١، مصر١٩٨٣م .
٢٦ قيس كاظم الجنابي:(التصوف الإسلامي في اتجاهاته الأدبية)، مكتبة الثقافة الدينية،ط١، القاهرة٢٠٠٦م.
٢٧ محمد عبدالمنعم خفاجي:(الأدب في التراث الصوفي)، مكتبة غريب، القاهرة،(بدون).
٢٨ محمد أبو الفضل بدران:(أدبيات الكرامة الصوفيَّة)،الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٣م .
٢٩ محمود محمود الغراب:(الحب والمحبة الإلهيَّة: من كلام الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي)، مطبعة الكاتب العربي،ط٢، دمشق١٩٩٢م
٣٠ محمد مصطفى حلمي:(ابن الفارض والحب الإلهي)،دار المعارف، ط٢، القاهرة ١٩٨٥م .
٣١ المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني:(نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط١، بيروت لبنان١٩٩٧م .
٣٢ ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص أحمد الشافعي:(طبقة الأولياء)، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي،ط٢، القاهرة١٩٩٤م .
٣٣ أبو نصر السراج الطوسي:(اللمع)، دار الكتب الحديثة بمصر، القاهرة١٩٦٠م .
٣٤ ياقوت الحموي:(معجم البلدان)، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م .
٣٥ يحي بن شرف النووي:(رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين)، تصحيح وتعليق: أنور الباز، ط٧، القاهرة٢٠٠٧م.
٣٦ يحي بن معاذ الرازي:(جواهر التصوف)، شرح وتعليق: سعيد هارون عاشور، مكتبة الآدب، ط١ القاهرة٢٠٠٢م .

رابعًا: الدوريات والرسائل.

٣٧ حسين جمعة:(جماليات التصوف مفهومًا ولغة)،مجلة الموقف الأدبي، عدد٣٦٤، اتحاد الكتاب العرب دمشق.

٣٨ حميدي خميس:(اللغة الصوفيَّة)، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد ١٠، سنة١٩٩٦م .

٣٩ عبادة السعيد:(القيم الموسيقية في الشعر العربي)، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد الثاني، عام١٩٩٨م.

٤٠ محمد راضي جعفر:(الرؤى الصوفيَّة في الشعر العربي المعاصر)، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية جامعة بغداد، سنة ١٩٩٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدِّمة: وفيها الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب الاختيـــار،ومنهج البحث وخطته .	١١٥٤
التمهيد: وفيه عرض موجز لفن المناجاة فـــي اللغـــة والاصـــطلاح، والتعريف بالشاعر وصوفيته، وكراماته، ووفاته .	١١٥٦
الفصل الأول : فن المناجاة في الأدب العربي.	١١٦٣
المبحث الأول :المناجاة الصوفيَّة عبر العصور الأدبيّة	١١٦٤
المبحث الثاني :الحب وعلاقته بخطاب المناجاة الصوفيَّة	١١٦٨
الفصل الثاني: شعريَّة خطاب المناجاة وبواعثه عند الصوفيَّة.	١١٧٣
المبحث الأول:استراتيجية الطلب في خطاب المناجاة الشعريَّة عند الصوفيَّة.	١١٧٤
المبحث الثاني:المقامات والأحوال التي يدور في فلكها خطاب المناجاة الصوفيَّة.	١١٧٧
الفصل الثالث :الجماليَّات الفنيَّة لخطاب المناجاة الصوفيَّة عند أبي مدين.	١١٨١
المبحث الأول :التشكيل اللغوي في خطاب المناجاة عند أبي مدين التلمساني.	١١٨٢

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني :الإيقاع الموسيقي وفاعليته في خطاب المناجاة عند أبي مدين.	١١٨٨
الخاتمة	١١٩٤
المصادر والمراجع	١١٩٥
فهرس الموضوعات	١١٩٩